

تَقِيَّةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

□ فهذه صفحات وضيئة للطيبين الصالحين عند مفارقتهم للحياة، فيها العظة أكبر العظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. أناس كانوا زينة الدنيا وطيبها وريحانها، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى، وكانوا فيها غرباء، وتعجلوا القدوم شوقًا إلى الحي القيوم، واستراحوا من الدنيا، كيف لا والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١].

● وقد قال رسول الله ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه» (١).

هؤلاء - والله - أعلى قدرهم ميراثهم يوم موتهم . . قالوا بلسان حالهم لمن بعدهم «لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك» فسر على طريقهم . . وانسج على منوالهم . . وقل لنفسك:

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد
اللهم أحسن خاتمتنا، ومسكننا بالإسلام حتى نلقاك عليه، واحشرنا
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

(١) صحيح: رواه الحاكم (٣٣١/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٣).

موت النبيين عليهم الصلاة والسلام

* موت آدم عليه السلام: «غسل الملائكة آدم عند موته»:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل منهم ويصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له: داود، قال: ربي وكم عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاءه ملك الموت، قال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»^(١).

بأبي وأمي صفي الله ونبيه آدم.. من غسلته الملائكة وألحدوا له.

• عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما توفي آدم غسلته

الملائكة بالماء وترأ، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده»^(٢).

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٢/٥٨٥ - ٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في التعليق على «المشكاة»: وسنده حسن.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «مستدركه»، والطبراني في «الأوسط» بإسناد صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨/٥).

* وصية نوح عليه السلام لولده:

روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «... إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية أمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين:

أمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر»^(١).

* موت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:

في كتاب «فتح الباري» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يعني الله خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله. وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال الملك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقبضت روحه.

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/١١٢): هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

* موت داود عليه السلام:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أمتنع من الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله، ثم مكث حتى قبضت روحه، فلما غُسِّلَ وكُفِّنَ وفُرِّغَ من شأنه طلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحاً» - قال أبو هريرة: ففطق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ بيده - «وغلبت عليه يومئذ المضرحية» (١).

* موت سليمان عليه السلام:

● قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

* تخيير الأنبياء عليهم السلام عند الموت:

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي

(١) انفرد بإخراجه الإمام أحمد، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٦/٢): إسناده جيد قوي رجاله ثقات.

ومعنى قوله غلبت عليه يومئذ المضرحية: أي: وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مضرحي، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.

يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة.

قالت: فلما كان في مرض النبي ﷺ الذي قبض فيه، أخذته بحة شديدة، فسمعتة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69]، فعلمت أنه قد خير^(١).

• وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»^(٢).

• وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كانت عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته: «الصلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم»، حتى جعل يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه»^(٣).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«إن رسول الله ﷺ قبض في بيتي ويومي، وبين سحري^(٤) ونحري، وجمع الله بين ريقه وريقه عند الموت - دخل علي أخي عبد الرحمن، وأنا

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (١٨١/٥)، ورواه في كتاب «المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، والنسائي في كتاب «الوفاة»، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز.
(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حق المملوك رقم (٥١٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١/٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (٤٢٩٥).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه. وفي «الزوائد» للبوصري: إسناده صحيح عى شرط الشيخين، ورواه أحمد في «مسنده»، والطحاوي في «مشكل الآثار» وأورده الألباني في «الصحيح» رقم (٨٦٨).

ومعنى يلجلجها: أي: يرددتها دون أن تبين.

وما يفيض بها لسانه: أي: ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه.

(٤) السحر: الرثة، والنحر: أعلى الصدر.

مسند رسول الله ﷺ إلى صدري وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفت أنه يعجبه ذلك، فقلت: آخذه لك؟ فأوماً برأسه أي: نعم. فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلت: أليته لك؟ فأوماً برأسه، أي: نعم، فليته له، فأمره، وبين يديه ركوة، أو قالت: علبه، فجعل يدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات». ثم نصب يده يقول: «الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى» حتى قبض صلوات الله عليه ومالت يده (١).

● وعن أنس رضي الله عنه: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه» (٢)، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجب رباً دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نعاه. فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟! (٣).
يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم؟!.

يقول أبو سعيد الخدري: فما إن دفناه حتى أنكرنا قلوبنا - قست قلوبنا -.

(١) رواه البخاري في «كتاب المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورواه أحمد في «مسنده»، والحاكم.

(٢) أي: يغشاه الثقل شيئاً فشيئاً.

(٣) رواه البخاري في «كتاب المغازي» باب مرض النبي ﷺ ووفاته (١٤٤/٥).

لله در حسان بن ثابت

وهو يرثي رسول الله ﷺ

في أجمل قصيدة

بَطِيئَةً رَسَمَ لِلرَّسُولِ وَمَعَهْدُ
وَلَا تَنْمَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمِ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا
مَعَالِمٌ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَاسْعَدَتْ
يُذَكِّرُنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَلَا أَرَى
مُفْجِعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَهُ
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضَمِنَ طَبِيبًا
تُهِيلُ عَلَيْهِ الثَّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَأَوْا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
مُنِيرٌ وَقَدْ تَعَفُّو الرُّسُومَ وَتَهَمُّدُ
بِهَا مُنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي الثَّرْبِ مُلْحَدُ
عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعَدُ
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلَدُ
فَظَلْتُ لآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
وَلَكِنْ نَفْسِي بَعْضَ مَا فِيهِ تَحْمَدُ
عَلَى طَلْلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدُّ
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدُّ
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ
عَشِيَّةَ عَلَوِهِ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ

يُكُونُ مَنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ
تَقْطَعُ فِيهِ مَنَزِلُ الرُّوحِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحِمْلِهِ
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى
عُطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأُمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحَشَا بِقَاعُهَا
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكَّى رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٌ
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدَّمُوعِ وَأَعُولِي

وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةٌ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ
وَيُنْقَدُ مِنْ هَوْلِ الْحَزَايَا وَيُرْشَدُ
مُعَلِّمٌ صَدَقَ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعُدُوا
وَإِنْ يُحْسِنُوا قَالَهُ بِالْخَيْرِ أَجُودُ
فَمَنْ عِنْدَهُ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ
يُبْكِيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
لَغِيَّةٌ مَا كَانَتْ مِنَ الرُّوحِ تَعْهَدُ
فَقِيدٌ يُبْكِيهِ بِلَاطٌ وَغَرْقَدُ
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٌ وَعُرْصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلَدُ
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
لِنَفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 أَعْفَى وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
 وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
 وَأَكْرَمَ حَيًّا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
 وَأَمْنَعَ ذُرُورَاتٍ وَأُثْبِتَ فِي الْعُلَا
 وَأُثْبِتَ فِرْعَاً فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا
 رَبَّاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
 تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
 أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ
 وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ
 مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ

وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
 وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ
 إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءً بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
 وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
 دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ
 وَعُودًا غِذَاهُ الْمُنْزُ فَالْعُودُ أَغِيدُ
 عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مُمَجَّدُ
 فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
 مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
 لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
 وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ